الاسلام يكافح

الذين يفهمون أن مبدءاً ما من المبادىء التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ، يمكن أن يكافح المظالم بأنواعها كما يكافحها الاسلام ، أو يمكن أن يقف بجانب المظلومين جميعاً كما يقف الاسلام ، أو يمكن أن يصرخ في وجوه الطغاة والمتجبرين كما يصرخ الاسلام ... الذين يفهمون هذا مخطئون كل الخطأ ، أو مغرضون كل الغرض ، أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

والذين يفهمون انهم مسلمون ، ثم لا يكافحون المظالم بأنواعها كفاحاً ، ولا يدافعون عن المظلومين كلهم دفاعاً ، ولا يصرخون في وجه الطغاة والمتجبرين صراخاً ... الذين يفهمون هذا مخطئون كل الخطأ ، أو منافقون كل النفاق ، أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة ...

وهذه أخرى .

إن الاسلام في صميمه حركة تحريرية ، تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة . وما يعمر الاسلام قلباً ، ثم يدعه مستسلماً خاضعاً خانعاً لسلطان على وجه الأرض ، الا سلطان الواحد القهار . وما يعمر الاسلام قلباً ثم يدعه صابراً ساكناً على

الظلم في صورة من صوره جميعاً ، سواء وقع هذا الظلم على شخصه أو وقع على الجماعة الانسانية في أية أرض وفي ظل أي سلطان .

فإذا رأيت المظالم تقع ، وإذا سمعت المظلومين يصرخون ، ثم لم تجد الأمة الاسلامية حاضرة لدفع الظلم ، وتحطيم الظالم ، فلك أن تشكّ مباشرة في وجود الأمة الاسلامية . فما يمكن أن تحمل القلوب الاسلام عقيدة ، ثم ترضى بالظلم نظاماً ، وبالسجن شريعة .

إنه إسلام أو لا إسلام ... إسلام ، فهو كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة . أو لا إسلام ، فهو إذن همهمة بالأدعية ، وطقطقة بالمسابح ، وتمتمة بالتعاويذ ، واتكال على أن تمطر السماء على الأرض صلاحاً وخيراً ، وحرية وعدلاً . وما كانت السماء لتمطر شيئاً من هذا كله ، وما كان الله لينصر قوماً لا ينصرون أنفسهم ، ولا يثقون بأهلهم ، ولا ينفذون شريعته في الجهاد والكفاح : « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » .

إن الإسلام عقيدة ثورية حركية ، بمعنى انه ما يكاد يمس القلب الإنساني مساً صحيحاً حتى يحدث فيه إنقلاباً : إنقلاباً في التصورات ، وانقلاباً في المشاعر ، وانقلاباً في تيسير الحياة ، وعلاقات الأفراد والجماعات ... انقلاباً يقوم على المساواة المطلقة بين بني الإنسان جميعاً ، لا فضل لأحد فيهم على أحد

الا بالتقوى ، ويقوم على الكرامة الانسانية التي لا تترك لمخلوق في الارض ، ولا لحدث من أحداثها ، ولا لقيمة من قيمها . ويقوم على العدالة المطلقة التي لا تطيق البغي من أحد ، ولا ترضى بالبغي على احد ... ثم ما يحس الانسان حرارة هذه العقيدة حتى يندفع الى تحقيقها في الواقع العملي بكل نفسه . فما يطيق صبراً ولا سكوناً ولا سكوتاً الا أن يتم له تحقيقها فعلا ... ذلك تأويل ان الاسلام عقيدة ثورية حركية .

فالذين يؤمنون بالله حق الايمان ، هم الذين يجاهدون في الله حق جهاده ، ثم هم الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا . وكلمة الله في هذه الأرض لا تتحقق الا أن يُرفع البغي والظلم منها وإلا أن يصبح الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

والذين يبصرون بالظلم في كل طريق ، ويلتقون بالبغي في كل ثنية ، لا يحركون يداً ولا لساناً ، وهم قادرون على تحريك اليد واللسان ، أولئك لم يعمر الإسلام قلوبهم . فلو عمرها لانقلبوا مجاهدين مكافحين منذ أن تمس الشعلة المقدسة تلك القلوب العاقلة فتشعلها وتدفعها إلى المعركة دفعا .

وإذا كانت الروح القومية تملك أن تدفع بنا اليوم إلى كفاح الاستعمار الباغي البغيض .

وإذا كانت الروح الاجتماعية تملك أن تدفع بنا اليوم الى كفاح الإقطاع الفاجر والرأسمالية الطاغية .

وإذا كانت روح الحرية الفردية تملك أن تدفع بنا اليوم الى كفاح الطغيان الباغي والعسف المتجبر .

فروح الاسلام تجمع الاستعمار والإقطاع والطغيان كلها في عنوان : البغي ... وتدفع بنا جميعاً الى كفاحها جميعاً بلا تلعثم ولا تردد ، وبلا جدال ولا تفرق . وتلك مزية الاسلام الكبرى في ميدان الكفاح البشري للحرية وللعدل وللكرامة .

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يمد الى المستعمرين يداً ، أو يقدّم لهم عوناً ، أو يهادنهم يوماً ، أو يكفّ عن حربهم خفية وجهراً ، وإنه لخائن لدينه ، قبل أن يكون خائناً لوطنه أو خائناً لقومه أو خائناً لشرفه — كل رجل لا يحسُّ للمستعمرين العداوة والبغضاء ولا يُشنُّ عليهم الحرب فيما استطاع . فكيف بمن يعقد معهم معاهدات الصداقة ؟ وكيف بمن يحالفهم حلف الأبد ؟ وكيف بمن يقدم لهم العون في السلم ، وفي الحرب ؟ وكيف بمن يمدّهم بالطعام وقومه جياع ؟ وكيف بمن يقف دونهم ردءاً لهم وستراً !

وإنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن يدع الإقطاع الفاجر والرأسمالية الطاغية في أمن وطمأنينة ،لايكشف مخازيها ، ولا يبين شناعاتها ، ولا يصرخ في وجهها الكالح ، ولا يجاهدها باليد واللسان والقلب ما استطاع الى ذلك سبيلا ... وكل يوم يمرُّ دون جهاد ، وكل ساعة تمرُّ دون كفاح ، وكل لحظة تمرُّ دون عمل ... إثم يستشعره ضميره ، ووزرٌ ينوء بسه

شعوره ، وخطيئة لا يكفّر عنها إلا الجهاد الدافق الحار الفوّار .

وإنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن يدع الطغيان الظالم والعسف السافر يدبّ على هذه الارض ، ويستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . انما يندفع المسلم بروحه وماله ليلبي دعوة الخالق الرازق : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

كن مسلماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى كفاح الاستعمار في شجاعة واستماتة وتضحية واستبسال . فإن لم تفعل فتحسّس قلبك ، عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك . وإلاّ فما صبرك عن كفاح الاستعمار ؟

كن مسلماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى كفاح المظالم الاجتماعية جميعاً ... كفاحاً جاهراً دافقاً فائراً . فإن لم تفعل فتحسّس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك . وإلاّ فما صبرك عن كفاح العدوان ؟

كن مسلماً فحسب .. فهذا وحده يكفي لأن يدفعك الى كفاح الطغيان ، في صلابة واستهانة بقوى الذباب الذي يحسبه الضعاف من العقبان ! . فإن لم تفعل فتحسّس قلبك عسى أن تكون مخدوعاً في حقيقة إيمانك . وإلاّ فما صبرك عن كفاح الطغيان ؟

إن مبادىء الأرض جميعاً ، وإن مذاهب الأرض جميعاً لتتفرق ليختار كلٌ منها ميدانه ، لتحقيق العدل والحق والحرية . . فأما الاسلام فيكافح في الميادين جميعاً . ويحتضن الحركات التحررية جميعاً . ويجنّد المكافحين لها جميعاً .

وحينما يستند أصحاب المبادىء والمذاهب إلى قوة من قوى الأرض الزائلة ، يستند الإسلام الى قوة الأزل والأبد ، ويخوضون المعركة وملء قلوبهم شوق الى الاستشهاد في الأرض لينالوا حياتهم في السماء :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فَيَقْتُلُون وَيُقْتَلُون وعْداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله ؟ » .

★